دمشـــق في المـــدار الخفـــي

عـلال الـحـجـام

ـ 1 ـ

ارقصي ما تشائين في بئر دمعك يا حلوة الطرف عارية
واخلعي عنك كل البراقع ، كل المساحيق
اقنعة الزيف في سمر الصيف
لم تعد اللحظة المستريبة مخمورة بكؤوس الزمان القديم .
أنا أعرف من عمق جرحي كتاب جراحك ، اتقن ـ ترحا ـ
قراءة ما خططته الدموع على الصفحات
و اتقن صوغ القيود سيوفا
وسبك الدموع ارتعاش انتصار على صهوة الفرحات
و لكن بيني وبينك غابات بين ، وسفرة نـــار
تهشمني في الفيافي الموات
وهكذا كتابك لي قدس ، و سلام على وجدك المستهام
وسنبلـــة في الحقـــول التـــي لا تنـــام
لحبرون تصهر قيدا بنار هواها
وتمشي على شوك غدر السنين الطويلة
لبيروت تحمل من دمها الرغيثا وخاتم عشق براها
وتنفث في ليلها والدخان الهيض ونقع الرصاص الليالي الجميله
ـ فكيف يخـون المتيـم قلبـه ؟
ـ وكيف يساقي دما فيه بعض مناه ، ويغتال ربه ؟
ـ وان كان ، كيف يكون نزيف الجراح ، و لون الجراح
اذا امتزج الدمع بالدمع ، و اغرورقت بدماء العشيقين عينا الصباح ؟
ـ وكيف يكون الحبيب خناجر غدر وغابة مكر
و حـرون قلب وراء ستار الخيانة ينزع من صدره
ويسعى على دمه هائما في الطريق على وجهه في يديه
الفاتيـــح نار هوى ثم يجرى

و تجرى الدقائق نازفة روحها في الشوارع
عبر الشواطيء أنشودة لا تمـوت
و لا يحتسي خمرها في سنين المذلة ثغر السكوت.

ـ 2 ـ

وها أنت مزهوة باللقاء الحزين على ساحة الموت كي لا تموتي
فهل ستكونين مقبرة و الاحبة بوابة و شواهد
وكل عشيق يهيم بنارك يمسي شرائح مختارة في الموائد
ومن ينصت الصرخات سوى القلب ، آه ، وصوت الرصاص دخان
وبرق يهد النهار بسيف الدمار على الشرفـــات
فكوني زلازل ان كان لا بد أن تقتلي موتك الابدية
كوني قنابـل تنسف حزنـك
كوني دمارا ، وكوني انتصارا يشقان مسلك عزك
عبـر جبـال المحـال ...
الا أيها البحر كن منهلا في سنين الظلام
و رو زهور الشوارع ، قبل جذور الصنوبر كن كوثرى
دماء عروق ، هواء غريق ، ونسـم سـلام
بدا وتولـى
و لتكن و لتكن ... ان ملحك أحلى .. !

ـ 3 ـ

و قادمة من حريق الحدائق ، تنفض عنها رماد الكنائب
تقسم أن هواها حياة طويلـة
ونبع يصارع قحطه في ظلمات المصائب يسقي السهول الجميلة
تردت مواعدها في زحام الشوارع ، غـر الرائع
تحمل للغرباء المناشير سـرا
وتحمل للتعساء المقيمين في ليلها حقنـا ت
تثيـر الحمية كان يصادرها المنع دهـرا
فأضحت رياحـا وبحـرا
وأضحت مواعدها في جفون دمشق الحريقة نورا ونارا
تخطط بالنار عقـد المحبة جهرا .. !
هو الجرح يخبرها اليوم ان شقيقتها في الظلام على موعد معها
قلبها في التراب عروق تساقيه حب السنين
و نصل رماح تصيد عيون الصباح
خيـام يزنرها الليل تدرسها الخيـل

أكواخ فقر تداعت على أهلها
غدا شعبنا في ديار يحيا غريبا ، فينتشر الموكب المتحرق
في ظلمة الكهف ، تلك طعون الغريب
وهذى طعون الحبيب .
و يختمر الحزن و انكون صوتا من العمق يعلو :
هو السيف أعرف معدنه الامريكي قد شجه دم كل أبي
وها هو ساعتها في فؤادى يغرسه القاتل العربي .
هو في ساحة القتل سياف سيده
و في ندوات السلام
يحبر خطبته في فتوحات حرب الكلام :
تبارك للحب عز التراب
لتحيا زهور القبور
أوه ... وتحيا جسور العبور
ويحيا الهواء ، ويحيا الينابيع ....

- 4 -

دمشق أناديك ثائرة في الكهوف
وظهرى وصدرى على نطع فجرى
مذابح تولم فيها السيوف
فكوني ضياء
لنا صلة تتوهج في العيد حين يعود الوليد
تكسر ما بيننا من جبال رفات
حين تغفو الحياة.
فينتصب الجسر شهما يسافر فينا سواقي دماء
تلون بالعز خد الخلود .
وأنت على العهد مضغوطة في اسارى ،
أقرا عبر سطور جراحي التي خططتها جمار الرماح
(بانك معشوقة وعشيقه)
وانك سيف المودة يغتاله الفارس الخشبي
فينسى طريقه .